جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علم النفس وعلوم التربية

المحاضرة السادسة: التصورات الاجتماعية

من اعداد الدكتورة ريان حوحو

التصورات النفسية والاجتماعية

مفهوم التصورات الاجتماعية

ترجع كلمة **التصور** لغوياً إلى **الفعل صوَّرَ / تصوَّرَ، والمفعول مُتصوَّر** .تَصَوَّرَ أن البيت يهتز: تخيل، وتوهم. تصوَّر الشيء: توهمه، تخيله واستحضر صُورتَه في ذهنه. معنى ذلك أن التصور هو استحضار صورة شيء محسوس في العقل دون التصرف فيه؛ أي تصورت الشيء بمعنى توهمت صورته فتصور لي.

بدأ توظيف مفهوم التصور في ميدان العلوم الاجتماعية على يد عالم الاجتماع الفرنسي **إميل دوركهايم** 1898، حيث استخدم عبارة التصور في الإطار الاجتماعي لإبراز الطابع الخاص **للفكر الجماعي مقابل الفكر الفردي**، ويرى دوركايم أن الجماعة الاجتماعية تمثل الوحدة القاعدية لهذا العلم، فقد تم اعتبار التصورات الجماعية أشكالاً عقلية مجتمعية، لها ديمومة تستمر لأجيال، وبالرغم من اعتراف دوركهايم بالتصورات الفردية، فقد رأى بأن دورها في التصورات الجماعية يبقى سلبياً، فهي غير ذات أهمية كبيرة لأنها محدودة في الزمان (تختفي باختفاء صاحبها)، ولأنها لا تعكس جيداً التصورات الجماعية التي تخضع لقوانين جماعية مختلفة. فالتصورات تكون مختلفة وعابرة ويومية عندما تكون فردية، في حين أنها مستقرة وصلبة ومتقاسمة، عندما تكون جماعية.

بعد غياب طويلاً عاد هذا المفهوم إلى الساحة الأكاديمية، ولكن ضمن مقاربة سيكولوجية من خلال عالم النفس الاجتماعي الفرنسي **سيرج موسكوفيتشي** 1961من خلال كتابه **التحليل النفسي: إنه صورة وعام** ***Psychoanalysis: Its Image and Its Public***، الذي يقدم التصورات على اعتبارها ديناميكية ومتطورة، كما أنها منحصرة على بنى صغيرة، فهي إذن كثيرة من حيث العدد وأكثر تنوعاً ومحدودية وتجزئة، ولهذا السبب تتغير بشكل أسهل وأسرع مقارنة بالتصورات الجماعية، **فعلماء النفس الاجتماعيون** يرون بأن التصورات الاجتماعية من صنع الفرد، ولكنها مكتسبة ومتقاسمة مع الجماعة، لكن الجماعة في تصور **موسكوفيتشي** ليست هي المجتمع الأصلي، وإنما هي الجماعات الصغيرة التي ينتمي إليها الأفراد.

إذا كانت المعلومة العلمية دقيقة ومنطقية فهي معقدة جدًّاً، إذ يصعب على الأفراد الاحتفاظ بها، فينتج عن ذلك تحولها من خلال المحاورات والاتصالات ومختلف أنماط التفاعل الاجتماعي إلى شكل خاص جديد من المعرفة المعقدة اجتماعياً.

ويمكن القول إن نظرية هذا المفهوم بنيت في علم النفس الاجتماعي على أمرين :**الأول** وهو اجتماعي محض كون أن التصور في حد ذاته شكل من أشكال التفكير الاجتماعي، وهو في هذه الحالة يصبح حالة من المعرفة الاجتماعية، والأمر **الثاني** ما للجانب السيكولوجي من أهمية في تكوين التصور عند الفرد والذي يجعله بهذا يختلف من فرد لآخر وما دعم هذا الجانب الاعتماد على نتائج الدراسات في علم النفس الطفل.

اقترح **موسكوفيتشي** تعريفاً لتصورات الاجتماعية على اعتبارها شكل من أشكال المعرفة الخاصة بالمجتمع تعمل على بناء واقع مشترك لوحدة أو مجموعة اجتماعية، دورها إنشاء نظام يعطي الأفراد إمكانية التوجه في المحيط الاجتماعي والمادي ومن تم التحكم فيه. وبمعنى أدق هو" **جهاز من القيم والأفكار والممارسات المتعلقة بمواضيع معينة، ومظاهر وأبعاد للوسط الاجتماعي، فهي لا تسمح فقط باستقرار إطار حياة الأفراد والجماعات، ولكن تكون أداة لتوجيه إدراك الوضعيات وإعداد الإجابات.**"

بذلك يكون هذا النظام هو **نظام تأويلي** إذ يشرف على توجيه وتنظيم الاتصالات الاجتماعية بين الأفراد فتصورات الاجتماعية عبارة عن محتوى من الأفكار وفي نفس الوقت عملية دينامية يتم بواسطتها بناء الواقع، واقع لا نستطيع مقاربته دون تلك التصورات. فهي تبرز في أشكال متنوعة معقدة نسبياً، وهي صور تكثف المعاني أو أنساق مرجعية تسمح بترجمة ما يحدث وإعطاء معنى غير المتوقع، وفي النهاية تمكننا من وضع أطر لتصنيف مواضيع الأفراد والظواهر التي تصادفنا بشكل يومي في الحياة الاجتماعية.

إن التصورات الاجتماعية تشكل جوهر المعرفة الاجتماعية؛ لأنها تساعدنا على التمكن المعرفي من العالم وفهمه كما أنها تعزز قدرتنا على التواصل مع الآخرين.

خلاصة القول، **التصور الاجتماعي** "**عبارة عن منتوج أو سيرورة خاصة بنشاط عقلي، والذي بواسطته يقوم الفرد أو الجماعة ببناء وتشكيل الواقع الذي يواجههم وكذا منحه معنى نوعياً** ." فالتصورات الاجتماعية هي أنظمة تفكير حول مواضيع معينة يكون الفرد بواسطتها على اتصال بمجتمعه، تختلف عن الآراء والاتجاهات، وهي نوع من المعرفة العامية والمشتركة بين كل أفراد المجتمع، حيث إنها تكون مهيأة ومقسمة اجتماعياً بينهم، وهذا باختلاف معايير معينة (ثقافة، إيديولوجية) وهي إعطاؤه معنى أو تصوراً خاصاً، وهي حصيلة نشاط عقلي يعتمد على إعادة بناء الواقع وإعطائه معنى خاص أو تصور، كما أنها مرنة وليست ثابتة، فهي تختلف من عصر لآخر ومن مجتمع لآخر تبعاً لظروف المجتمع الحالية، وهي متداولة بين كل أطرافه كالتصورات الاجتماعية حول **المرض والصحة، أو حول المرض النفسي، أو الإرهاق، أو الجنون، أو الإبداع، أو العدل، أو الظلم، أو مواضيع أخرى كالإعلام الإلكتروني.**

خصائص التصورات الاجتماعية:

أ- **هي دوماً تصورات لهدفٍ ما** : لا توجد تصورات بدون هدف، مهما كانت طبيعتها مختلفة، وهذا الهدف يمكن أن يكون طبيعة مجردة مثل: الإبداع والإعلام والجنون.

ب- **لها صفة (معنى) تمثيلية صورية**: وهي أهم صفة للتصورات، حيث تكون متلازمة للمعنى الدلالي لأي بنية تصورية، وكما يقول **موسكوفيتشي**: تبدو ازدواجية، ولها وجهين منفصلين مثل وجه وظهر الورقة، وجهة تمثيلية وأخرى رمزية، ونكتب: التصورات تساوي تمثيل (صورة) ومعنى، بحيث إن لكل صورة معنى ولكل معنى صورة (تمثيل). أي إن **موسكوفيتشي** يرى بأن التصورات تظهر بوجهين متلازمين، ولكن منفصلين، ويشبه ذلك بوجهي ورقة، فالصورة والمعنى كلاهما يشكلان التصور الاجتماعي ولا غنى عنهما.

ج –**لها معنى رمزي ودلالي:** يذهب **موسكوفيتشي** إلى أن التصور هو إعادة استذكار أو تقديم شيء غائب إلى الوعي، وذلك يكون من خلال احتفاظ الموضوع برموز تعبر عن كثير من المواضيع خصوصاً المجردة وبواسطة الاستذكار، إنما يحاول إعطاءها المعنى والدلالة .

د –**لها صفة بنائية:** هذه الصفة في التصورات الاجتماعية تحدث عندما يستدخل الفرد موضوعاً على المستوى الذاتي، فإنه يقوم بربطه مع مواضيع متواجدة من قبل في هذه الدائرة الفكرية، فينزع منه بعض الخصائص ويضيف له أخرى، وهذا يميز التصور عن باقي العمليات النفسية، فهو لا يعتبره مجرد تكرار أو إعادة إنتاج سلبي للموضوع، بل عملية تركيب وبناء ذهني.

هـ -**لها صفة الاستقلالية والإبداعية:** يعتبر التصور ليس إنتاجاً بسيطاً، لكنه يستلزم لحدوث الاتصال جزءاً مستقلاً للإبداع الفردي أو الجماعي. فمثلاً في التصور الخارجي لعمل مسرحي يُقدِم بالصوت والصورة أفعالاً وكلمات تعيد تقديم بعض الأشياء غير المرئية الموجودة في النص مثل :**الموت، القدر، الحب،** فكل فرد من خلال تصوراته الاجتماعية يضفي عليها جزء فردي، وهو الذاتية وجزء آخر يجعلها مختلفة عن تصورات الآخرين وهو عامل الإبداع، حيث إن التصورات تتدفق في شكل سلوكيات وعادات؛ أي من خلال التصورات تنتج سلوكيات فردية واجتماعية تتجسد في شكل قيم اجتماعية. بذلك تمتلك التصورات الاجتماعية صفة الاستقلالية والإبداعية خلال عملية إنتاجها.

و- **صفة اجتماعية:** إن كل تصور اجتماعي مرتبط بموضوع وبجماعة؛ لأنه عبارة عن مجموعة من المعطيات المتعلقة بموضوع اجتماعي معين، وقد تكون متعددة وغنية نوعاً ما حيث تكتسي طابعاً معرفياً وآخر اجتماعيا؛ فالمكون المعرفي يستوجب موضوعاً نشطاً يحتوي مجموعة من المعلومات الاجتماعية خاضع للقوانين التي تكون بنية السيرورات المعرفية، أما المكون الاجتماعي فيضم السيرورات المعرفية المكونة للتصور وفقاً لشروط اجتماعية خاصة، فهذا البعد الاجتماعي ينتج من مجموع قواعد تختلف عن المنطق المعرفي.

بمعنى آخر، يتحدد التصور تبعاً لبيئة المجتمع الذي يتطور فيه، فعندما نكون في مستوى اجتماعي معين لتحليل فعل الذات الذي يصور الموضوع، يظهر أن التصور يستوجب دائماً بعض الأشياء الاجتماعية. ولأن الفرد في مجتمعه يتفاعل مع غيره، فإن هذه التصورات تكتسي طابعاً اجتماعياً، بالإضافة إلى الطابع النفسي الذي يمثل آرائه ووجهة نظر خاصة، ويعبر عن انفعالاته وتفكيره. وفي هذا الصدد، فإن التصور هو **عملية بنائية وإنتاج اجتماعي، حيث يتم بناؤه خلال التفاعل والاتصال الاجتماعي.**

شروط التصورات الاجتماعية:

يجب أن تتوفر ثلاثة شروط لظهور التصورات الاجتماعية، وهي كالآتي :

نشر المعلومة: لأسباب مرتبطة بتعقد الموضوع الاجتماعي وأيضاً بسبب الحواجز الاجتماعية أو الثقافية، فإن الأفراد لا يستطيعون الوصول إلى المعلومات الضرورية لمعرفة الموضوع.

التركيز في بؤرة: تتعلق بالوضعية الخاصة التي تكون عليها الجماعة الاجتماعية اتجاه موضوع المتصور (موضوع الدراسة). فالشيء الذي يعيق الأفراد في الحصول على نظر شمولية (كلية) للموضوع سيؤدي إلى التركيز عليه لتكوين تصور عنه.

ضغط الاستدلال: ضرورة شعور الأفراد بتطور في السلوكيات والخطابات المتناسقة حول الموضوع الذي لا يعرفونه جيداً. من هذا المنطلق فإن الموضوع الاجتماعي هو موضوع غير معروف بالنسبة لنا (نشر) والذي نهتم به بدرجات مختلفة (بؤرة) ومن خلاله نأخذ موقف (ضغط الاستدلال).

محتوى التصورات الاجتماعية :

ينقسم محتوى التصورات الاجتماعية إلى ثلاثة أبعاد أساسية، وهي كالآتي :

أ- **المعلومة:** يشير هذا المحتوى إلى مجمل المعارف المرتبطة بالموضوع، فالفرد يحتفظ بالمعلومات الكمية والكيفية للموضع المتصور، والتي يتحصل عليها عن طريق حواسه وهذا من خلال احتكاك الفرد بمحيطه الاجتماعي، وكذا ما يواجهه من خبرات وتجارب شخصية، أما محتوى هذه المعلومات قد يكون معارف عامة ومختلفة، وتنتقل هذه المعلومات عن طريق الاتصال بين الأفراد والجماعات وكذا عن طريق مختلف وسائل الإعلام.

ب- **حقل التصور:** أي إنه وحدة منظمة من الآراء المتكونة حول الموضوع المتصور ولحقل التصور أهمية في دراسة التصورات، لأن غنى هذا المحتوى يعني توافر مجموعة معينة من المعلومات القابلة للتنظيم، وهو أيضا يختلف باختلاف الأفراد والجماعات ويرجع هذا الاختلاف إلى تباين المعلومات الموجودة عند الأفراد. إن حقل التصورات هو بالضرورة حقل اجتماعي إذ نجد فيه مختلف الحقائق الاجتماعية التي تؤسس التصورات فكل تصور إنما هو تصور جماعة ما لموضوع ما، وعليه كل تصور أكيد وراءه دافع اجتماعي حتى وإن كان خارج الإطار الاجتماعي، كأن يكون موضوع المتصور عبارة عن موضوع بيولوجي، فيزيائي...

ج- **الموقف أو الاتجاه:** يتعلق هذا البعد بالاتجاهات النفسية وهو عبارة عن وضعية تقديرية تجاه الموضوع المتصور وهذا التقدير أو التوجه قد يكون إيجابي أو سلبي. على اعتبار أن الاتجاه عبارة عن إدراك عقلي دائم، يحتوي على المعتقدات المتعلقة بمجموعة من الأطر المرجعية التي تمكن الفرد من التصرف إيجابياً أو سلبياً إزاء الموضوع المتصور.

إن الأبعاد الثلاثة تسمح بالتحليل محتوى التصورات، فهي إذن تسمح بمقارنة التصورات المتباينة، هذا التصنيف يقدم ميزة إدخال الأفكار في بناء المحتويات، ولا سيما عند طرحنا للمفهوم الحقل الذي يؤثر على التنظيم (تنظيم المحتوى)، وفي دراسته لاحظ **موسكوفيتشي** عندما وصف استجابات الأفراد الملائمة وغير الملائمة للتحليل النفسي أن مستوى المعلومات يتغير من فرد إلى آخر، ومن مجموعة إلى أخرى وهذا وفقاً لبعض المعايير (الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية ...)

وظائف التصورات الاجتماعية:

تلعب التصورات دوراً مهماً في تحديد سلوكيات الأفراد وكذلك ممارساتهم، ويمكننا القول في هذا السياق إن التصور **عبارة عن دليل للأفعال فهو يوجه علاقاتنا الاجتماعية**. ولهذا اعتبره البعض **كنظام تشفير لرموز الواقع**، كما تتيح التصورات الاجتماعية الربط بين المنتوج المعرفي واللغوي والتنظيم الدال للواقع، حيث يتعلق الأمر بالطريقة التي يصبح بها الواقع مفهوماً ووظيفياً وعلمياً، فالتصورات الاجتماعية إذن **وسيلة لفهم وتوجيه السلوكيات**.

وقد تم تحديد وظائف التصورات الاجتماعية في خمسة وظائف أساسية، وهي كالآتي:

- **الوظيفة المعرفية:** تسمح بفهم الواقع ومعرفة نشاط الحس المشترك، فهي تمكن الفاعلين الاجتماعيين ***social actors*** من اكتساب المعارف وإدماجها في إطار قابل للاستيعاب والفهم بالنسبة لهم، والذي يكون ملائم مع السير المعرفي والقيم التي يلتزمون بها.
- **وظيفة الهوية:** تساهم التصورات الاجتماعية في الانتماء الاجتماعي للأفراد كما تسمح بالحفاظ على خصوصيات الجماعة، وعلى مساعدة الأفراد على تمركزهم في الحقل الاجتماعي، فهي تعبر عن الاشتراك في الأفكار العامة واللغة اللذان يعتبران دعم للروابط الاجتماعية، كما تسمح هذه الوظيفة بالاحتفاظ على خصوصية الجماعة.

- **وظيفة تفسير وبناء الواقع:** تسمح التصورات بشرح وفهم الواقع من خلال تنظيم المعارف العامة حول المواضيع المتصورة والتي غالباً ما تكون معارف بسيطة، فهي تلك المواضيع التي نصادفها في حياتنا اليومية وهنا يتم الرجوع إلى القيم والمعايير السائدة في المجتمع، فمن خلال هذه الوظيفة يتمكن الفرد من السيطرة على المحيط الاجتماعي للفرد. إن إدراج الموضوع الجديد داخل الإطار التفكيري المسبق يمر ببعض التعديلات على مستوى العناصر المكونة له لتقارب مع التصنيفات الموجودة سابقاً، مما يسهل فهم الموضوع، إذاً التصورات الاجتماعية تعمل على تفسير **وإعادة بناء وتنظيم الواقع بطريقة ملائمة للمرجعية الثقافية والإيديولوجية.**
- **وظيفة التوجيه:** تعمل التصورات على توجيه السلوكيات والتصرفات، وهذا في حد ذاته يحمل وظيفة اجتماعية فهي تساعد الأفراد على التواصل في محيطهم وكذا ممارسة نشاطاتهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعمل التصورات الاجتماعية على تحديد ما يجب فعله وما يجب تركه، أي تحديد ما هو مسموح وما هو ممنوع في مجتمع ما وفي زمن ما.

- **وظيفة التبرير:** لا يتوقف دور التصور على تحديد السلوكيات والممارسات، بل يسمح أيضاً بالتبرير البعدي لتلك المواقف والسلوكيات داخل جماعة الانتماء. إن تبرير السلوكيات التي وصلت إلى درجة القناعات يعمل على محافظة المواقف الاجتماعية للجماعة، ومن وجهة النظر هذه يظهر دور جديد للتصورات وهو دعم أو حفاظ وكذا تقوية الوضعية الاجتماعية لتلك الجماعة. كما أن لتصور وظيفة إبقاء أو تبرير التباين الاجتماعي، والذي يهدف إلى تميز والحفاظ على البعد الاجتماعي بين مختلف الجماعات.

خلاصة القول يمكننا اعتبار التصور في معنى واسع كطريقة لتنظيم معرفتنا للحقيقة الاجتماعية والتكوين الاجتماعي، مثل هذه المعرفة تُنتج إطلاقاً من قوانيننا الخاصة. وبما أن الحياة اليومية لا تخلو من نظام التصورات الاجتماعية، فهي بدورها تملي على الفرد سلوكيات توجهه وتعبر أيضاً عن اعتقاداته واتجاهاته وإيديولوجياته في الحياة الاجتماعية. كما أن التصور يندرج ما بين سلسلة من المفاهيم السوسيولوجية والمفاهيم النفسية، لأن يتميز بوضعية مزدوجة (نفسي/ اجتماعي) مما يجعله نظاماً نظرياً معقداً بنفسه لكونه يأخذ بعين الاعتبار من جهة العمل المعرفي الخاص بالجهاز النفسي، ومن جهة أخرى عمل الجهاز الاجتماعي

الخاص بالجماعات والتفاعلات التي تؤثر على كل من النشوء، والبنية، والتطور، فالتصورات الاجتماعية يحب أن تدرس مع الأخذ بعين الاعتبار كل من العوامل الوجدانية، والمعرفية، والاجتماعية.

إن **الهدف المحوري من دراسة التصورات الاجتماعية** هو فهم وتحليل كيف تنتشر ظاهرة جديدة أو نظرية علمية أو سياسية في ثقافة ما داخل المجتمع وكيف أنها تتحول في سياق هذه السيرورات وكيف تغير نظرتنا لأنفسنا وللعالم الذي نعيش فيه.

بذلك تعتبر التصورات الاجتماعية بمثابة **جسر ضيق بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي**، وهذه الفكرة يؤيدها المختصون في علم النفس الاجتماعي، حيث يرون **بأن التصورات الاجتماعية موجهة من طرف الأفراد، ولكنها أيضاً مكتسبة من المجتمع الذي ينتجها اجتماعياً**، وفي هذا الصدد يقول دوركهايم" **:إن التصورات الاجتماعية هي منتجة اجتماعياً وتتأثر بالتجديد والتطور** ."وهكذا **تقوم التصورات الاجتماعية بدور هام في إعادة بناء وتشكيل رؤيتنا للواقع الاجتماعي.**

THANK
YOU!